الرثاء في الأدب الأندلسي

إعداد الطالب

عبد الله جبارعبد الله سلمان الميالي

إشراف

الدكتور

فاضل ناهي عبد عون الجبوري

مما يلفت النظر شيوع الشعر في المجتمع الأندلسي ، إذ لم يكن الشعر وقفًا على الشعراء المحترفين ، وإنما شاركهم في ذلك الأمراء والوزراء والكتاب والفقهاء والفلاسفة والأطباء وأهل النحو واللغة وغيرهم ، فالمجتمع الأندلسي بسبب تكوينه الثقافي القائم على علوم العربية وآدابها ، ثم طبيعة الأندلس التي تستثير العواطف وتحرك الخيال ، كل ذلك جعل المجتمع يتنفس الشعر وكأنما تحول معظم أهله إلى شعراء. وقد عالج شعراء الأندلس مختلف أغراض الشعر وإن تميزت بعض الأغراض باهتمام أكبر من غيرها ، ويمثل الشعر أحد جوانب الحضارة العربية الأندلسية ، فقد عبر عن قوالب تلك الحضارة وعن مضمونها وطبيعة الصراعات السياسية والتغيّرات الاجتماعية في الأندلس. و يعنينا في هذا المجال شعر الرثاء في الأندلس ، فهو الغرض الأندلسي الذي نبعت سماته وأفكاره من طبيعة الاضطراب السياسي في الأندلس ، وكان مجال إبداعٍ في الشعر الأندلسي و انطلاقا من الأدب العربي سنطرح السؤال التالي : كيف كان شعر الرثاء في الأدب الأندلسي.؟ و للإجابة على هذا السؤال قمنا بتصفح العديد من الكتب نذكر منها :الرثاء لشوقي ضيف و تاريخ الأدب الأندلسي لحسان عباس و أروع ما قيل في الرثاء لإميل ناصيف و تاريخ الأدب الأندلسي لمحمد زكريا عناني...و غيرها من الكتب التي إرتاينا أن نصوغ ما إستقيناه منها عبر ثلاث مباحث أولها الرثاء في أدبنا العربي و يندرج تحته أربعة مطالب أولها تعريف الرثاء لغة و اصطلاحا و الثاني تاريخ الرثاء و الثالث أنواع الرثاء أما الرابع فأهم شعراء الرثاء و أهم المراثي كل ذلك في الأدب العربي لنصل بعد هذا الى المبحث الثاني و هو الرثاء في الأدب الأندلسي و يندرج تحته ثلاث مطالب أولها نشأة الرثاء في الأدب الأندلسي و الثاني ألوانه أما الثالث أهم شعراء الرثاء و أهم المراثي وصولا الى المبحث الأخير و الذي عبارة عن أنموذج تطبيقي و دراسة تحليلية لجزء مقتطف من نونية أبي البقاء الرندي في رثاء الأندلس و فيه خصصنا عرض جانب لحياة الشاعر معرجين بعدها الى النص المقتطف من النونية لنخرج بعدها بتحليل و تعليق عليها ..

وكان من أهم النتائج التي توصل اليها البحث تتلخص بالاتي:

إن القيام بدراسة وافية حول تاريخ الرثاء وتعيين أول من رثى هو أمر صعب جداً.. فإذن لا نستطيع أن نحدّد زماناً خاصاً لبدء الرثاء في تاريخ البشر. لأنّ الإنسان قد عاش من بداية حياته على الكرة الأرضية مع الكوارث والنوائب والحوادث المؤلمة التي تهز القلب هزاً شديداً وكان لتلك الحوادث تأثيرها العظيم في النفوس. والإنسان في الشوط الأول من تاريخه كان يعبّر عن نفسه الحزينة بألوان شتى وبألفاظ مختلفة. نظن أنّ هذا التعبير في بدايته كان أصواتاً أو ألفاظاً قريبة الوزن دون أن

تكون لوناً من ألوان الأدب ومع مرور الزمن تحولت إلى العبارات الموزونة و صار الرثاء غرض قائم بذاته و فننا من الفنون الأدبية و له شعراءه و رواده في أدبنا العربي وعلى اختلاف العصور اختلفت أنواع الرثاء و ألوانه.
أما في الأدب الأندلسي فقد ولد هذا الفن بين الأحداث المتلاحقة ومن الصراع المستمر بين الأحزاب المختلفة التي قامت على انقاض الخلافة المنهارة و بين الأندلسيين و غزاتهم من إفريقيا و بينهم و بين النصارى في شمال وطنهم و مهد له التغني بحب الوطن قرية ,أو ضيعة , أو مدينة , أو عاصمة , فإذا فقدت أو ذهبت بها الحرب بكاها الشعراء ومن هنا أصبح بكاء الممالك المنهارة و المدن الذاهبة فن أندلسي أصيل و جدت دوافعه في المشرق و المغرب على السواء و خص الأندلس ببعضها و تفرد بأنه جرى مع هذه الدوافع الى غايتها فكان له معها قصيد رائع و دون الجيد أحيانا أخرى تبعا لثقافة الشاعر و طاقاته النفسية و حظه من تجارب عصره عمقا و اتساعا و كان وراء ذلك كله ما سمي بالوجدان الأندلسي .و تبقى نونية الشاعر المتأخر أبو البقاء الرندي من أروع ما قيل في رثاء الأندلس.
والى هنا نرجوا أن و نكون قد وفينا الموضوع حقه بقدر المستطاع و في حدود المتاح لنا من المصادر و أن تكون معلومات هذا العرض كافية و شافية , فإن كان توفيق فمن الله و إن كان نقص فمن أنفسنا ولله الكمال و به التوفيق وعليه التكلان.